بين مطرقة الحكومة وسندان الصهيونية[1]

«من ذكريات الماضي» ومسيرة جريدة «فلسطين» في العقد الأول من الانتداب البريطاني

نهى تادرس خلف*

«إن الحثّ على أهمية الذاكرة قد يُفسر على أنه دعوة إلى الذاكرة، لكي تقفز فوق عملية البحث التاريخي. إنني شخصياً مدركٌ لهذه الخطورة إلى درجة أن كتابي هو بمثابة دفاع عن الذاكرة كنسيج غشائي (رحم) للتاريخ، وذلك إلى الحدّ الذي تؤدي فيه الذاكرة دور الحارسة على إشكالية العلاقة التمثيلية بين الحاضر والماضي».

بول ريكور، «الذاكرة، التاريخ، النسيان»[2]

تقوم هذه الدراسة بإلقاء الضوء على مسار جريدة **فلسطين** في العقد الأول من مرحلة الانتداب البريطاني (١٩٢١-١٩٣١)، عبر الرجوع إلى ما ورد عن هذا التاريخ في نص **من ذكريات الماضي**، مذكرات مؤسس جريدة **فلسطين** من جهة، وما ورد في جريدة **فلسطين** نفسها من جهة أخرى، كما أن تاريخ الجريدة نفسه يعكس تاريخ التطورات السياسية الكبرى في الحقبة التاريخية المعنية، فيصبح من الضروري أيضاً الإشارة إلى المحاور الأساسية، التي رسمت خلفية اللوحة السياسية التي سادت حينها.

فلسطين

LA PALESTINE

An Open Letter

to His Excellency the High Commissioner for Palestine.

from

The Editor & Proprietor of the « La Palestine » Newspaper.

الصفحة الأولى من جريدة فلسطين، بتاريخ ٧ نيسان/ابريل ٩٢٢، الموافق ١١ شعبان ٣٤٠ هـ.

من ذكريات الماضي

من ذكريات الماضي هو عنوان المذكرات التي تركها خلفه عيسى العيسى، مؤسس جريدة **فلسطين** في يافا سنة ١٩١١. كتب العيسى هذه الذكريات في آخر سنوات حياته بعد خروجه من يافا، فهي مبنية على أساس ذاكرته لبعض الأحداث والقصص، التي اعتبرها مهمة ومحورية في حياته. توفي في بيروت سنة ١٩٥٠.

ميّز الكاتب الفرنسي، ميرو، في كتابه بشأن ما يسميه الفرنسيون «الكتابة عن الذات» أو «السير الذاتية» بين أنواع وأشكال أدبية متعددة من الكتابة في هذا المجال، التي قد تُعرف بـ «الدفاتر» أو «اليوميات» أو «المذكرات» أو «الذكريات». ويعتبر الباحث أن الذكريات شكل من أشكال المذكرات، لكنها تختلف عنها بهامش الحرية والانتقائية التي يتمتع بها مؤلفها، «فبالرغم من أن هدفه يشبه الهدف من السيرة الذاتية العامة، فإن مشروعه لا يتضمن سرد كل شيء. طبعاً إن الكاتب يتحدث عن نفسه في روايته لكنه يستطيع أن يسرد فقط بعض الوقائع والعلاقات مع معارفه أو لقاءاته مع شخصيات، أما الذي يكتب «ذكريات» فبإمكانه أن يختار:

١ مترجم عن النص الفرنسي:
Noha Tadros Khalaf, *Les mémoires de 'Issa al-'Issa: Journaliste et intellectuel palstinien (1878-1950)* (Karthala, 2009).
ترجمة: عبد الكريم أبو خشان.

٢ Paul Ricoeur, *La mémoire, l'Histoire, l'Oubli* (paris, Le Seuil, Septembre 2000). p106.

* باحثة مشاركة في IREMAM.

أن يلخص أو أن يتغاضى عن بعض المعلومات، وهدفه هو إعلام القارئ بعدد من العموميات وبعض الأحداث التي كان شاهداً عليها. ولا لوْم عليه إذا لم يتعمق في مشروعه الكتابي أو إذا ترك بعض المناطق الغامضة. ما يُنتظر منه فقط هو أن لا يخلط بين الذكريات والخيال، وأن يكرّس نوعاً من الصدقية بينه وبين القارئ ليُعتبر نصه صادقاً».[٣]

ويمكن القول إن نص عيسى العيسى، الذي لم يُنشر حتى الآن، يتمتع بكل المواصفات الخاصة بالذكريات التي أشار إليها ميرو، خصوصاً وأنه أشار في ذكرياته إلى أن هذا العمل ليس سجلاً تاريخياً، وبالتالي، يجب الرجوع إلى ما ورد في جريدة **فلسطين** من معلومات، لإعادة تركيب الرواية التاريخية الكاملة.

أفصح المؤلف في ذكرياته عن معظم أوجه حياته، خصوصاً في الفترات التي لم تكن تصدر خلالها جريدة **فلسطين**، فيروي بعض الأحداث التي صادفته قبل صدور الجريدة، ثم في فترات حجبها وانقطاع صدورها، أكان ذلك في فترة منفاه في بكبازاري أم في فترة خدمته بديوان الملك فيصل.

خصص عيسى العيسى ثلاث عشرة صفحة فقط، من بين ست وسبعين صفحة في ذكرياته لمرحلة الانتداب، خصوصاً التي كان موجوداً خلالها في يافا. تبدأ هذه الفترة في سنة ١٩٢١، عندما عاد من دمشق إلى يافا، وهي مقسّمة إلى اثنين وعشرين فصلاً مبوباً.

تعكس السرعة التي عالج فيها الكاتب كل موضوع، وكل مسألة من القضايا التي تعرض لها، وكأن كل واحدة منها تشكل جانباً من جوانب حياته؛ استعجالَه في إتمام مذكراته في الفترة الأخيرة من حياته، ويؤكد في الوقت ذاته على ضرورة مراجعة جريدة **فلسطين**، لكي تكمل انطباعاته بشكل يسمح بتقييم أدقّ للدور الحقيقي، الذي قام به وأدّته الجريدة.

المرحلة التاريخية

يعتبر المؤرخون المرحلة التاريخية الممتدة بين عامي ١٩١٤-١٩٢٢ مرحلةً محورية في تاريخ الشرق الأوسط عامة، حيث يقول دافيد فرومكين في كتابه **سلام لينهي كل سلام**، إن هذه الأعوام تعبر عن المرحلة التي شكّلت الشرق الأوسط الحديث،[٤] بينما تعتبر المؤرخة الفرنسية نادين بيكودو أن هذه الفترة تعبّر عن العقد الذي هزّ كيان الشرق الأوسط.[٥] وقد جاء صوغ وعد بلفور في سنة ١٩١٧ في صلب هذه المرحلة المحورية.

تُعتبر مرحلة الانتداب البريطاني (التي بدأت في إطار هذه الحقبة التاريخية (سنة ١٩٢٠)، وانتهت في سنة ١٩٤٨)، من أكثر المراحل تعقيداً في تاريخ فلسطين، فمن الصعب وجود حالات شبيهة لها في تاريخ الدول المستعمِرة والمستعمَرة، إذ إنه، كما في العادة، يوجد فقط طرفان متناقضان: قوة استعمارية خارجية في مواجهة أهل البلاد الأصليين؛ أما في فلسطين فالوضع فريد من نوعه، إذ تشعبت التناقضات على الساحة السياسية، بسبب تواجد تداخلات وصراعات بين ثلاثة أطراف سياسية مختلفة: الاستعمار البريطاني الممثل في سلطة الانتداب البريطاني، والحركة الصهيونية المتمثلة في عدة تيارات سياسية ذات أهداف إستراتيجية واضحة، وطرف ثالث وهو الشعب العربي الفلسطيني، الذي بدأت تتشكل له نواة لحركة سياسية وطنية تمثله في مواجهة القوتين الدخيلتين والمتواطئتين ضده.

وعد بلفور

يشكل وعد بلفور الخلفية الأساسية للتناقضات اللاحقة بين المحاور السياسية الثلاث، فقد حددت هذه الوثيقة (الوعد) وجود هذه الأطراف الثلاث على أرض الواقع في فلسطين، وعرفتها حرفياً كالآتي: حكومة صاحب الجلالة والشعب اليهودي المتمثل في الاتحاد الصهيوني، أما الشعب العربي الفلسطيني فقد تم تعريفه بشكل هزيل على أنه «الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين». وبحسب هذا الوعد كان على الطرف الأول أن يسهّل على الطرف الثاني عملية «تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي» على حساب السكان الأصليين.[٦] ومهما حاولنا تبسيط مغزى هذا النص، الذي يبدو اليوم

٣ Jean Phillipe Miraux, *L'autobiographie: écriture de soi et sincérité* (Paris, Nathan, 1996). p 13-14.

٤ David Fromkin, *A Peace to end all Peace: Creating the Modern middle East*, 1914-1922, (London: Penguin Books, 1989).

٥ Nadine Picaudou, *La Décennie qui Ebranla le Moyen Orien*: 1914-1923, Editions complexes, 1991.

٦ Joseph Mary Negel Jeffries, Analysis of the Balfour Declaration, from Palestine: The Reality, (London: Longman's, Green &Co.,1939), chap ix,in Edited by Walid Khalidi (Beirut: The Institute for Palestine Studies 1971). pp.173-188.

للبعض وكأنه نص بالي يردد كشعار، إلا إن كل كلمة صغيرة أو كبيرة واردة فيه، تفتح مجالاً واسعاً للتحليل.

وقد بين الصحفي البريطاني جيفريز في دراسة مميزة نشرت في سنة ١٩٣٩ بعنوان: **تحليل لوعد بلفور،** أنه تم وزن كل كلمة بدقّة في هذا البيان قبل نشره، وأن كل كلمة من بين السبع وستين كلمة الواردة فيه (باستثناء اسم الحكومة) قد دُرست مطولاً قبل إدخالها في النص، وذلك بعد رحلات متعددة لمسوداته، التي كانت تتنقل بين بريطانيا عبر المحيط (إلى الولايات المتحدة)، ليتمعن فيها عدد من المختصين بالصوغ والكتابة، الذين يتعاونون ويتنافسون، ويمحون جملة ثم يتبنّون أخرى بعد تفكير طويل. ويشير جيفريز إلى ما قاله ناعوم سوخولوف في كتابه بشأن **تاريخ الصهيونية** وهو: إن كل فكرة كانت تولد في لندن، كانت تختبرها الحركة الصهيونية في أمريكا؛ وإن كل اقتراح كان يأتي من أمريكا، كان يعالج باهتمام كبير في لندن؛ كما يشير إلى ما قاله الحاخام وايس، الذي كان يشارك في المداولات التي سبقت نشر القرار: « تطلبت عملية إصداره عامين من التحضير، وتمّ صوغه بشكل جماعي».

تمّ إعلان البيان رسمياً في الصحافة في ٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧، وتمّ عرضه بشكل كاذب على أنه قرار بريطاني بحت، وذلك بعد أسبوع من البتّ فيه رسمياً في ٢ من تشرين الثاني/نوفمبر.

ويذكر الكاتب البريطاني جون مارلو، أنه بالرغم من تبليغ الشريف حسين بالقرار عبر رسالة عادية، فإن الجنرال أللنبي لم يُشر إليه لدى دخوله فلسطين في سنة ١٩١٧، حيث قد أعلن عنه رسمياً في فلسطين فقط في أيار ١٩٢٠. ويبرر مارلو هذا الصمت البريطاني على أساس عدم حصول أللنبي لأية تعليمات بالإفصاح عنه، ويفسر هذا التأخير بعدم فهم الحكومة البريطانية للأهداف المحددة المترتبة على هذا القرار.[٧]

الانتداب البريطاني

وبحسب واسرشتاين، بدأ الحكم البريطاني رسمياً في فلسطين في كانون الأول/ديسمبر سنة ١٩١٧، عندما دخل الجنرال أللنبي فلسطين عبر بوابة يافا.[٨] واستمرت الحملة العسكرية البريطانية في شمال فلسطين حتى آب/أغسطس ١٩١٨.

قررت الحكومة البريطانية في سنة ١٩٢٠، إنهاءَ مرحلة الحكم العسكري على فلسطين، واستبدالها بحكم مدني، وفي تموز/يوليو ١٩٢٠ سلّم الجنرال بولز الحكم إلى المندوب السامي الأول السير هربرت صاموئيل، الذي ترأس حكومة مدنية مطلوب منها تطبيق السياسة المرسومة في مشروع الانتداب. كان هربرت صاموئيل يهودياً من كبار مؤيدي الحركة الصهيونية، ولم يكن تعيينه فقط تحقيقا لأحلام الصهاينة ولكنه جاء بدفع مباشر منهم، بحسب ما قاله وايزمان سنة ١٩٢١: «إنني كنت المسؤول الأول على تعيين السير صاموئيل في فلسطين، فهو صديقنا، وقد وافق على القيام بهذه الوظيفة الصعبة بناء على طلبنا، فهو 'صاموئيلنا».[٩]

وفي الوقت نفسه، الذي بدأت فيه مرحلة الانتداب البريطاني على فلسطين كان مؤسس جريدة **فلسطين**، عيسى العيسى عائداً من منفاه في الأناضول، الذي فرضه عليه الحكم العثماني، ودام عامين منذ عام ١٩١٦.

يذكر عيسى العيسى في ذكرياته:« بعد انهزام الجيش العثماني ودخول الجيش الإنجليزي إلى إربد، كنا لا نعلم شيئاً عمّا جرى في أثنائها (الحرب)، لكني كنت أطالع خلالها ما آخذه من الجيش من المجلات والجرائد، وكان أن وقع نظري فيها على وعد بلفور، فلأول مرة علمتُ به».

أُعلم عيسى العيسى أن جيش الأمير فيصل مخيّم في درعا، وتوجّه إلى مقابلته هناك، فطلب منه الأمير أن يلتحق به للعمل في ديوانه بعد دخول جيشه إلى دمشق. وكان ذلك في١٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨، بعد أن دخلت القوات العربية إلى دمشق في الأول من الشهر نفسه.

يروي عيسى العيسى في ذكرياته بعض التفصيلات المهمة، التي شاهدها خلال عمله في ديوان الأمير فيصل التي دامت حتى نهاية هذه المرحلة في تموز/يوليو ١٩٢٠، عند دخول القوات الفرنسية إلى دمشق وخروج الملك فيصل منها.

ويشير في ذكرياته أنه كان آخر من بقي في القصر بعد خروج الملك فيصل، حيث طلب منه تسليم القصر للفرنسيين، ما أدى به إلى محاولة العودة إلى فلسطين لإعادة إصدار جريدة **فلسطين** في يافا، (التي كان قد أسَّسها سنة ١٩١١، وأُوقفت سنة ١٩١٤، بسبب الحرب العالمية الأولى). وبعد بضعة أيام من دخول الفرنسيين، يقول: «ذهبت إلى دار المعتمد الإنجليزي، وطلبت منه

٧ John Marlowe, *Seat of Pilate*.

٨ Bernard Wasserstein, *The British in Palestine: the Mandatory Government and the Arab Jewish Conflict*, 1917-1929. (Oxford: Basil Blackwell, 2nd Edition, 1991) p.1.

٩ Jean Pierre Alem. *Juifs et Arabe*, cité dans Bishara Khader. op.cit. p.88

ترخيصاً لي بالسفر إلى فلسطين، فكان جوابه لي: إني آسف أن أقول لك أنك وابن عمك على القائمة السوداء ولا يسمح لكما بالعودة إلى فلسطين. سمعت منه هذا فصُعقت، ولم أصدق ما سمعت، وحسبته هازلاً، فإذا هو يؤكد لي ذلك، فقلت له: أهذا عندكم هو جزاء من تنكر للأتراك والألمان، وانتصر في جريدته لقضية الحلفاء فنال ما نال منهم من الأحكام والإبعاد، ناهيك أنني كنت مؤخراً في خدمة جلالته، الملك فيصل، وهو الذي كان يخلص لكم كل الإخلاص. غير أن كل هذا لم يغنِ. وبقيت أنا و ابن عمي على القائمة السوداء محرومين من العودة إلى الوطن. بعد أن أصبح وطناً قومياً صهيونياً.....».

اضطر عيسى العيسى بعد ذلك إلى إنشاء جريدة بالاشتراك مع ابن عمه يوسف العيسى في دمشق، سمّيت **ألف باء**، لكنه حاول مرة أخرى العودة إلى يافا، إذ يقول: «تذكرت أن لي في يافا صديقاً إنجليزيا، الكولونيل ستارلينغ، حاكمها الذي كنت أعلّمه العربية (خلال فتره العمل في ديوان الأمير فيصل)، فكتبت له في أمر رجوعي، وكتبت في ذلك أيضاً إلى عمر أفندي البيطار وعاصم بك السعيد، بعد أن أصبحا صديقين له، فعملوا معاً على استصدار أمر بعودتي من المندوب السامي السير هربرت صاموئيل، ، فعدتُ وبقي ابن عمي يوسف في دمشق يصدر جريدة **ألف باء**....».

جريدة فلسطين في عهد الانتداب

علم عيسى العيسى بعد عودته إلى يافا خلال الحرب سنة ١٩٢١، أن الجيش الإنجليزي كان يصدر جريدة عربية سمّاها **فلسطين**، فيقول: «طلبت الإذن بإعادة إصدار جريدتي. لم يُسمح لي بذلك في أول الأمر، لكن الكولونيل ستارلينغ سعى لي في ذلك لدى المندوب السامي، فرخّص لي إصدار الجريدة. ولما بلّغني الكولونيل ذلك، قال لي: إنني أصبحت مسؤولاً عمّا تكتب لدى المندوب، فأرجوك ألا تكتب شيئاً يؤاخذني المندوب عليه».[١٠]

صدر العدد الأول من صحيفة **فلسطين** بعد الحرب في ٦ آذار/مارس ١٩٢١، وعلى الصفحة الأولى يقول المحرر:

«بهذا العدد، فإننا نكمل السنة الخامسة من طباعة صحيفتنا، عشر سنوات بعد تدشينها الرسمي، فقد صدرت مدة أربع سنوات فقط ثم مُنعت من الصدور للسنوات الست التالية، آملين من خلال هذا الجهد أن نكون أوفياء في خدمة الوطن، وأن نحظى بثقة قُرائنا، وأن نكون على مستوى الأمل الذي يتطلع إليه مواطنونا الكرام».[١١]

كتب المحرر في هذا العدد، تحت عنوان فرعي: «خطابٌ قديم وتصريحٌ جديد»:

«لقد احتجبت هذه الصحيفة عن أصدقائها وقرّائها مدة ست سنوات لأسباب تعرفونها جميعاً، وأهمّ ما في الأمر أننا كنّا منفيين في أثناء الحرب، ثم مُنعنا من العودة بعد انتهاء الحرب[...]، وهكذا فقد عدنا إلى البلاد، وتبين لنا أن الأرض لم تعُد هي الأرض، والناس تغيروا، والحكومة غير الحكومة. إن فلسطين التي عانت من ظلم الأتراك وطغيانهم قد فضّلت الحلفاء وصدّقتهم، بينما غزاها هؤلاء واغتصبوها، وآثروا «شعباً آخر» غير شعبها، ووقفوا إلى جانبهم وآزروهم، معتقدين وفاءهم، لقد أدركنا أن فلسطين تشكّل مع أختها سورية شوكة في حلق الأتراك، وأن بمجرّد انتهاء الحرب تطالب الحلفاء بنُصرة قضيتها، وإحباط مخططات أعدائها، وأن ينتصر الحق على الباطل، وتكون الأولوية للتقدُم على الوحشية، وتحظى الدول الضعيفة بنصيبها من الحرية والاستقلال في نهاية المطاف، هذا ما طالبت به فلسطين كمكافأة بعد كل معاناتها، خصوصاً بعدما تعرّفت على مبادئ ويلسون، ومواقف الحلفاء وقادتهم»

لقد خشي الفلسطينيون أن يبيع الأتراك هذه الأرض كسلعة إلى الصهاينة من أجل الحصول على المال الذي كانوا في أمسّ الحاجة إليه، لهذا أرادوا التخلص من سلطتهم. كما أرادت تركيا التخلص من فلسطين، لأنها أحسّت مسبقاً أن فلسطين ستخرج من قبضتها ذات يوم، لرغبتها في الانعتاق، ونظراً لمبادئ الحرية التي غزتها، على شكل الحركات المطالبة باللامركزية تحديداً، لكن تركيا لم تقدم على تلك السياسة، خشية من الرأي العام المسيحي ومشاعر العالم الإسلامي.

وهكذا، فإن أوروبا المسيحية وعلى رأسها بريطانيا العظمى صديقة المسلمين والبلاد الرجعية، قد جعلت من فلسطين هدية إلى الصهاينة، عندما وعدهم بلفور بذلك مدعوماً بالحلفاء».[١٢]

بدأت الصحيفة تصدر ثلاث مرات أسبوعياً بدلاً من مرتين، وأصبحت مكونة من ست صفحات بدلاً من أربع، وبعد تدخل الكولونيل ستارلينغ لإعادة صدور الصحيفة، اضطر أن يستمر في لعب دور الرقيب، يقول عيسى

١٠ عيسى العيسى. مخطوطة من ذكريات الماضي - مذكرات. القسم ٤٧.

١١ فلسطين ٢١ آذار/ مارس ١٩٢١.

١٢ المصدر السابق.

العيسى في مذكراته:

«ولما كان وعد بلفور على كل لسان، كانت معظم أبحاث الجريدة تدور حوله، فاستدعاني الحاكم ستاريلنغ مراراً، وكلّمني على ما يتلقاه من السكرتارية العامة من الملاحظات على ما أكتب، فبنظرها هو المسؤول عني، ولما ضقت ذرعاً، قلت له: إنني يا حضرة الكولونيل ما زلت أمشي على هذه السياسة قبل وعد بلفور، ولا يمكنني إلا أن أسير عليها الآن، وبأشد من قبل، فدعني أقوم بواجباتي نحو وطني، وقم أنت بوظيفتك فلك أن توقف الجريدة وأن تطلب محاكمتها، ولا عتب عليك. قال: ألم تعرف أن عدم السماح لك بالعودة إلى فلسطين، كان سببه حملاتك على الصهيونية، والصهيونيين هم الذين كانوا يعارضون رجوعك؟ فلا تقدم على ما يحرج مركزك. قُلت له إنني شعرت بذلك، لكني لا يمكنني أن أحيد عن الطريق الذي رسمته».

ثم أخذتْ قضايا الحكومة والصهيونيين تنهال عليّ، فأخرج من بعضها بريئاً ومن البعض الأخرى محكوماً علي بالجزاء النقدي.[١٣]

يروي عيسى العيسى بعد ذلك كيف اضطر إلى مقابلة المندوب السامي البريطاني، هربرت صاموئيل، في إثر إلحاح الحاكم العسكري للرملة المستر ميللر، الذي طلب منه ذلك مرتين في اليوم نفسه، فبعد رفضه المرة الأولى قال له الحاكم العسكري: إنني أنا الحاكم هنا، والمندوب السامي يصرّ على مقابلتك فذهبت مُكرهاً. وكان المندوب مع كبار موظفي الحكومة و قريناتهم، يجلسون في الكشك الذي يتوسط الحديقة، يتوسّد صدر المكان، فلما صعدتُ بعض الدرجات إذا بالمندوب السامي يقوم من محله و يقابلني ويمد يده لمصافحتي، ثم قال إنني أقرأ جريدتك بكل اهتمام، لكن من دون لذّة فهل لنا أن نعقد هدنة معاً، تكفّ بها عن حملاتك؟؟ قلت: أيكلمني السير هربرت صاموئيل كزعيم صهيوني أو كمندوب سامي؟ قال: كمندوب وكزعيم. قلت: أتطلب الهدنة من المدافع أم من المهاجم؟ قال من المهاجم طبعاً، قلت: إنني مدافع عن حقوق وطني أمام الهجوم الصهيوني، فكيف تريد مني السكوت؟ قال: إنك تنقل من أقوال الصهيونيين ما هبّ ودبّ، و لولا ما تنشره، لما ساد البلاد هذا التوتر. قلت: إنك يا مولاي تكلفني أن أغمض عينيّ عمّا يُراد بنا من شر، فاسمع ما قاله وايزمن نفسه: «إنا نريد أن نجعل من فلسطين يهودية كما هي إنجلترا إنجليزية»، و اسمع ما قال شاعركم، زانغويل: «إننا لم نأتِ إلى فلسطين لإنشاء مستشفيات فيها لإطالة أعمار العرب، إن للعرب الجزيرة العربية فليذهبوا إليها»، وذكرت كثيراً من هذه الأقوال التي كان يتشرف بها زعماء الصهيونية، فكان يقول لي: «الحق معك، لكن لا بدّ من عقد هدنة» قلت: «سنرى ما يكون عليه موقف زعمائكم بعد الآن»».[١٤]

في العدد ٣٠ آذار/مارس من جريدة **فلسطين**، نجد افتتاحية موقّعة باسم يوسف العيسى بعنوان: «إلى شعبي»، نُشرت بمناسبة زيارة تشرشل إلى فلسطين:

«بالرغم من أن السيد تشرشل سيكون في فلسطين في يوم نشْر هذه السطور، فإن كلمات هذا الوزير ليست، ولن تكون أبداً، آخر الكلمات المتعلقة بالقضية الوطنية الفلسطينية، لا، إنه من غير اللائق للسيد تشرشل أن يكون جرعة السّم الأخيرة، التي تُقدَّم إلى مريض وجد نفسه بين الحياة والموت. فإذا كان هذا هو الهدف المُعلن من زيارة السيد تشرشل وهو أن يفهم الوطنيين أن تصريح بلفور هو من الوصايا التي وقّعتها أصابع الرّب على المائدتين الحجريتين في سيناء، فإن ذلك ليس إلا خرافة قد سمعناها سابقاً، ولعبة أدركناها منذ بداية الاحتلال، فالمسألة إذن لم تكن بحاجة إلى كل هذه الإزعاج والتعب الذي تحمّله السيد تشرشل، الذي أتى إلى مدينة مسيحية ليعلنها من قمة جبل صهيون».[١٥]

أعلنت الصحيفة في افتتاحية بعد شهرين من إعادة صدورها، سياستها والمصاعب التي واجهتها:

«هذا هو موقف صحيفة فلسطين، فلم يمضِ سوى شهرين بعد إعادة صدورها، حتى تقدمت شكوى ضد الصحيفة، ومُنعت مرتين من الصدور، وفي هذه المرة، فإن الصحيفة لم تَحِد عن الاعتدال في تصريحاتها، وإنما روت الوقائع وفقاً لما يتطلبه دورها الوطني، بينما واصل الصهاينة اعتبارها عقبة كأداء في وجه مصالحهم ومشروعهم. وتآمروا في السِّر والعلن لإطفاء شعلتها وإخراس صوتها، ليتمكنوا من تنفيذ برامجهم.

إن ما طلبناه من حكومة الانتداب في الوقت الحالي، وما نطلبه في المستقبل هو أن تثق في إخلاص الصحيفة تجاهها، وأن لا تعير أي انتباه للمكائد التي ما فتئ أعداؤها (الصحيفة) يحيكونها، خاصة إذا كانت نوايا هذه الحكومة طيبة تجاه الشعب الفلسطيني الذي وضع كل ثقته فيها، وأن تكتفي بتطبيق الرقابة الرسمية، وأن تصمّ آذانها عن آلاف التقارير التي يقوم بكتابتها المراقبون الصهاينة، الذين يحسبون علينا كلامنا وأنفاسنا، فهذا يمكن أن يكون أكثر إنصافاً وأبعد عن التحيّز».[١٦]

١٣ عيسى العيسى. مصدر سبق ذكره.

١٤ المرجع السابق. الجزء ٤٩.

١٥ جريدة فلسطين. ٢١ آذار/مارس ١٩٢١.

١٦ فلسطين. أيار/مايو١٩٢١.

ثم منعت حكومة الانتداب الصحيفة من الصدور خلال أحداث عام ١٩٢١، بسبب نشر الجريدة مقالات تنتقد سياسات الحكومة، ولتَحُول دون نشر أخبار الحوادث التي تقع في يافا، ولكن على سبيل التحدي لهذا الحجب صدرت ثلاثة أعداد لجريدة **فلسطين** تحت غطاء صحيفة **الأخبار**. وبمجرد عودة الصحيفة للصدور سنة ١٩٢١ أعلنت عن مشروعها بإصدار صحيفة باللغة الإنجليزية، وقد اتخذت مجموعة من الإجراءات لإطلاق المشروع، غير أن عوامل عديدة حالت دون ذلك، بينها رحيل شبلي الجمل،[١٧] الذي كان من المفترض أن يكون مديراً للصحيفة، ولم يتحقق هذا المشروع إلاّ بعد تسع سنوات، في ١٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٢٩، تاريخ ظهور العدد الأول.

وقد قام رئيس تحرير الجريدة منذ سنة ١٩٢٥ بعدة محاولات من أجل إنشاء شركة برأس مال يبلغ ٥٠٠٠ جنيه فلسطيني، مكونة من ٥٠٠٠ سهم، بحيث تصبح ملكاً للأمة، وليس لشخص واحد، أو لمنطقة معينة، غير أن هذا المشروع لم يتحقق.[١٨]

وفي ١٧ شباط/فبراير ١٩٢٦، صدرت افتتاحية جريدة **فلسطين**، تحت عنوان «عامنا العاشر»، مبيّنة أن الجريدة قد أتمت هذا العام عامَها العاشر، رغم أنه قد تم تدشينها منذ خمسة عشر عاماً، وتابعت الافتتاحية:

«إن صحيفة فلسطين ستبقى كما كانت، جريدة حرّة لا يُملي عليها إلا ضمير مالكها، تدافع عن العدالة، وتنتقد الظلم أينما وجد، ولن تنصاع إلا لما تعتبره يصب في المصلحة العامة للبلاد».[١٩]

وفي العدد السابع من آب/أغسطس ١٩٢٦، رأت الصحيفة في افتتاحيتها أهمية عقد مؤتمر وطني، ودعت فيه إلى صدور الجريدة باللغة الإنجليزية قائلة:

«إن كنّا سعداء بمعاينة الرغبة في الدعوة إلى مؤتمر، الذي نراه بدورنا علامة على الاهتمام الذي توليه الأمة إلى مصيرها، فإننا أكثر سروراً أيضاً بما سمعناه، ولا نزال نسمعه من كثير من الزعماء والمفكرين ورجال الأدب وقادة الرأي، بتعبيرهم عن ضرورة وجود صحيفة ناطقة باللغة الإنجليزية في البلاد تعكس رغباتها، وتكون بمثابة الناطق الرسمي للبلاد والمدافعة عن حقوقها. وعليه، فقد اتفقنا على أنه قد حان الوقت لإصدار هذه الصحيفة، وأن من المناسب إرسال نداء آخر إلى الأمة، كي تنضم إلينا في هذا المشروع الحيوي، الذي بدونه لن يسمعنا أحد، وأن أصواتنا لن تتجاوز آذاننا في صحفنا العربية، وعليه فقد أعلنّا أننا على استعداد لإصدار صحيفة باللغة الإنجليزية بوتيرة أسبوعية، وبالحجم ذاته الذي تطبع فيه الصحيفة الصهيونية **أسبوعية فلسطين** (the Palestine weekly)، وأن لدينا في المطبعة كل الأدوات اللازمة للقيام بهذا العمل. والأكثر من ذلك، فإن لدينا رئيساً للتحرير وهو متخصص ومن أبناء الوطن، عاد مؤخراً إلى البلاد بعد أن اجتاز بنجاح باهر إجازة في الصحافة من إحدى الجامعات الإنجليزية.

لقد قررنا أن نأخذ على عاتقنا نصف تكاليف الصحيفة إذا استعدت الأمة، بشيء من الحماس، لتغطية النصف الآخر من التكاليف، وهذا النصف الثاني يمكن أن يغطي بالمساهمة بمبلغ عشرة جنيهات من قِبل ستين شخصاً، أو بدفع خمسة جنيهات من قبل مئة وعشرين شخصاً. وزيادة على ذلك، فقد قمنا في عددنا السابق، بإصدار نماذج من المقالات التي كنا ننوي إصدارها في الصحيفة، واثقين من إعجاب أولئك الذين يتقنون اللغة الإنجليزية بأسلوب هذه المقالات وأهميتها، لقد سنحت الفرصة وينبغي التقاطها، ثم إن التضحيات في هذا السبيل تبدو جسيمة، لذلك فعليكم دعمنا لتحملّها».[٢٠]

وفي العدد نفسه، جاء تحت عنوان: «كل شيء في وقته: المؤتمر الوطني، والصحيفة بالإنجليزية»:

«لم نشهد يوماً حماساً على هذا النحو لأجل عقد المؤتمر الوطني بهدف دراسة الموقف الذي وصلته البلاد، وكل التطورات التي حدثت، ونعتقد أن ذلك قد تمخض عن التفهم العام للخطورة التي تحدق بكل طبقات الأمة، فلم يعُد الملاك آمنين على ممتلكاتهم، ولا المزارعون في مزارعهم، والتجار في متاجرهم، والصناع وأصحاب الورش في منتجاتهم، والموظف في وظيفته.

لقد اعتقدنا في الماضي، ولازلنا نعتقد، أن البلاد تمر بمرحلة من الركود بسبب حالة الانقسام، التي يسببها تعدّد الأحزاب السياسية التي قسّمت البلاد إلى أشلاء، لن تستمر طويلاً خصوصاً عندما تدرك هذه الأحزاب وزعماؤها أن حالة الانقسام لم تحقق طموحاتهم، بل على العكس جعلتهم يخسرون ما لديهم، وأنهم سيدركون ماذا يجنون من إعادة اللُّحمة واجتماع القول والفعل.

لقد انطوت هذه الصفحة بفضل الله، والدعوة إلى مؤتمر عام تبدو مؤكّدة بعد الإجماع الذي لحظناه في القرارات، التي اتُخذت في اجتماع اللجنة التحضيرية. مثل

١٧ شبلي الجمل. بروتستانتي من القدس. كان قد انتخب سكرتيراً لأول وفد فلسطيني في المؤتمر الفلسطيني الأول ١٩٢١.

١٨ قسطندي الشوملي. «فهرس النصوص الأدبية في جريدة فلسطين». الجزء الأول (القدس: جمعية الدراسات العربية. ١٩٩٠) . ص٧٣

١٩ فلسطين. ١٧ شباط/فبراير - ٢ آذار/مارس ١٩٢٦.

٢٠ فلسطين. ٧ - ٢٠ آب/أغسطس ١٩٢٦.

هذا الإجماع كان مستحيلاً قبل ذلك بسبب استياء بعض الزعامات، لكن الأمر الذي لا يريحنا هو وجود جماعة، في شمال البلاد بالتحديد، تعتقد أن المسألة الوطنية هي قضية خاسرة مسبقاً، لذلك فهي تعرض عن المشاركة في الدفاع عنها، كما ترفض دفع ملّيم واحد لمساعدتها، أو صرف دقيقة واحدة من وقتها في التفكير فيها، وهذا لا يرجع إلى ذكاء هذه المجموعة أو إلى أن الله قد وهبهم ميزة وجرّد الآخرين منها، لكن ذلك يعود إلى مصالحهم، فإذا أفلح الوطنيّون في الحصول على بعض المكتسبات، ونجحوا في منع تدفق الهجرة الصهيونية، سيؤدي ذلك إلى إحداث كساد في سوق الأراضي، ويضع حداً لسوق السماسرة، وربما يؤدي إلى إدراك هؤلاء أن مصالحهم الشخصية لا يمكن أن تُفصل عن المصلحة الوطنية العامة، وسيترتب عليهم بالتالي مساعدة إخوانهم في جهادهم وجهودهم، ويتقدمون، كتفاً إلى كتف معهم ليعيشوا أحراراً وليس كغرباء أو عبيد، كل ذلك يعتمد على «عامل الزمن».[٢١]

قام الكاتب الهندي المسلم «أختر»، سنة ١٩٢٩ بتحرير النسخة الإنجليزية للجريدة، تحت إشراف عيسى العيسى وبالتعاون مع عزمي النشاشيبي، وتم إصدار هذه الصحيفة مدة ثلاث سنوات فقط، حيث ظهر العدد الأخير بتاريخ ٢٨ أيار/مايو ١٩٣٢، وقد وزّع هذا العدد من الصحيفة الناطقة باللغة الإنجليزية مجاناً على كل أعضاء البرلمان الإنجليزي ليشرح لهم المشكلة الفلسطينية، الأمر الذي كان له صدى إيجابي في الأوساط الصحفية الأوروبية، وقد اعترف الصهاينة أنفسهم بأنها أصبحت الناطق الرسمي باسم القضية العربية في الدول الأجنبية.[٢٢]

وفي ذكرياته، وصف عيسى العيسى أهمية دور هذه الصحيفة، بقوله:

«إن جريدة فلسطين الإنجليزية قامت بأكبر قسط من الدعاية لقضية فلسطين، فكان المندوب السامي آنذاك، أظن أنه«واكهوب»، كان لا ينتظر وصولها إليه، بل كان يذهب إلى مكتبة سعيد ليشتريها. و كان يحرر هذه الجريدة تحت إشرافي كاب هندي كبير اسمه «أختر»، متخرج من أوكسفورد. حتى إن يوم مجيء لجنة هوب-سمسون إلى فلسطين، ووضعها تقريرها كتبت الجرائد اليهودية: «إن جميع المواد التي وردت في التقرير مستقاة مما كانت تنشره جريدة فلسطين، ومنها من قال إن التقرير وضع في إدارة جريدة فلسطين».[٢٣]

بلغ حجم جريدة **فلسطين** سنة ١٩٢٩ ثماني صفحات، وفي افتتاحيتها الأولى بعنوان «فلسطين في مرحلتها الجديدة، مساهمتنا في نهضة الصحافة»، كتب عيسى العيسى:

«تصدرجريدتنا ابتداء من العدد القادم في ثماني صفحات، ثلاث مرات في الأسبوع، إنجازاً لما وعدت به، ونحن نخطّ هذه الأسطر نحسّ بألم عميق، لأن فلسطين لم يحِن بعدُ أوان صدورها يومية، مع أنها صحيفة الأكثرية الساحقة في البلاد، مع أن الأقلية اليهودية صار لها ثلاث صحف يومية تصدر باللغة العبرية، هذا غير **البالستاين ويكلي** و**البالستاين بولتين**، اللتين تصدران باللغة الإنجليزية، وغير المجلات الأسبوعية والشهرية الكثيرة العدد. نعم إننا نتألم، ولكن لا لشيء غير أن في بقاء **فلسطين** عاجزة إلى اليوم في الصدور يومياً، معنى تُلجئنا الضرورة إلى الإفصاح عنه، وهو أن شعب فلسطين لم يقدر بعد الحاجة لأن تكون له صحيفته اليومية الخاصة، حتى كأنه أحطّ ممن في العراق وسورية ولبنان، مع أنه في مستوى يزيد ولا ينقص أبداً، عن مستوى هؤلاء الأشقاء».[٢٤]

منعت الحكومة سنة ١٩٣٠، ظهورَ الصحيفة مدة ستة عشر يوماً، ولم تكن **فلسطين** في القضايا الكثيرة التي أُقيمت عليها، وفي تعطيلها مؤخراً، إلا ضحية من ضحايا الصهيونية الكثيرة، لوقوفها في وجهها وقفة المدافع الشجاع عن وطن مغصوب. جاء تعطيل الجريدة بسبب تعريب مقال نشرته **دوار هايوم**، كان قد مضى عليه عشرة أيام منً دون أن تحرّك الحكومة ساكناً، فلما ردّت **فلسطين** على ذلك المقال بعد نشرها له بيومين، بما لا يخرج عن دفع ما جاء فيه من الأراجيف... حينئذ تنبهت الحكومة فأمرت بالتعطيل. ورأت أن تحمي نفسها من غضب اليهود عليها، بتعطيل جريدتين أخريين، إحداهما مسيحية والثانية إسلامية، ليعمّ العدل بين الطوائف الثلاث، وتكون بمنجاة، على زعمها، من تهمّة التحيز والمحاباة، فكانت بعملها هذا ليست متحيزة فحسب.[٢٥]

صدرت فلسطين، خلال إحدى المرات العديدة التي مُنعت فيها، تحت اسم جريدة **الصراط المستقيم**، التي كان يملكها عبدالله القلقيلي، وظهر مقال في ٢١ كانون الثاني/نوفمبر ١٩٣٠ في **الصراط المستقيم**، يشرح أسباب إيقاف **فلسطين**:

٢١ المصدر السابق.

٢٢ شوملي، مصدر سبق ذكره ص ٧٢، ٧٣.

٢٣ عيسى العيسى، مصدر سبق ذكره الجزء ٥٨ .

٢٤ فلسطين في السنة السادسة، جريدة فلسطين، ٢ آذار/مارس ١٩٢٩، في: شوملي، مصدر سبق ذكره ص ٦٤-٦٥.

٢٥ فلسطين١٥ حزيران/ يونيو ١٩٣٠، في: شوملي مصدر سبق ذكره ً ٦٤-٦٥.

عطّلت الحكومةُ زميلتَنا الغرّاء إلى أجلٍ غير مسمى، وبَنت هذا التعطيل على مقال نشرته يوم ١١ الجاري بعنوان «عرب فلسطين بين التعاون واللا تعاون»، و قد رجعنا إلى هذا المقال بعد أن سمعنا بنبأ التعطيل، فلم نجد فيه إلا ما كانت تقوله الصحف العربية كلها منذ سماعها بأن اليهود قد يؤثرون على الحكومة البريطانية، فيرغمونها على التراجع عن السياسة المرسومة في الكتاب الجديد، أي إنها لم تزد في هذا المقال عن تنبيه الحكومة إلى أن العرب قد يجنحون عن خطة التعاون إلى عدم التعاون، إذا رجعت الحكومة عن الحق بعدما تبين لها. ومما نلف الأنظار إليه هنا، أن الصحيفة اليهودية **البالستين بولتين** حرّضت الحكومة على **فلسطين** في صبيحة اليوم، الذي صدر أمر التعطيل في ظهره، والأغرب من كل ما تقدم، هو أن الحكومة قد جرت في تعطيل الصحف على خطة ثابتة لا تحيد عنها أبداً، فهي إن عطلت صحيفة يهودية، لا بدّ و أن تعطل إلى جانبها صحيفة عربية بسبب أو من دون سبب، ولا بدّ أن يأتي التعطيل بالدور».

وقد جاء الدور الآن إلى الزميلة **فلسطين**، لأن **الحياة** و**الجامعة العربية**، قد عُطلتا قبلها في هذه المرة. وحكومة تخاف هدا الخوف من اليهود، ولا تعطل لهم صحيفة ثائرة متمردة كصحيفة **دوار هايوم**، إلا وتعطل إلى جانبها صحيفة مسالمة كصحيفة **فلسطين**، التي كانت أول من دعا إلى التعاون مع الحكومة قبل إشاعة التراجع عن السياسة الجديدة . حكومة كهذه لا ندري ماذا نقول عنها، إلا إنها لا تصلح لشيء ما دام الخوف يمتلكها من اليهود إلى هذه الدرجة».[٢٦]

في افتتاحية عنوانها: «أسئلة اليوم: من أجل الارتقاء بالفلاح» في عدد ٤ شباط/فبراير ١٩٣١ من جريدة **فلسطين**، يقول المحرر:

«إن القضية الفلسطينية في مجملها هي «قضية الفلاح»، فواجب كل مواطن مخلص لبلده أن يفكر في حلّها، وقد اعترف السيد هوب سيمبسون والسيد ستارك لاند، بفقر الفلاح الفلسطيني وفاقته، والأمر نفسه ظهر في تقرير جونسون – كروسبي[...]، بينما لم يتم تطبيق أي من النصائح والتوصيات، التي تضمنها التقرير من قبل الحكومة حتى يومنا هذا، بالرغم من أهمية ذلك».[٢٧]

وكان السيد هوب سيمبسون (١٨٦٨ – ١٩٦١) نائباً لرئيس اللجنة الخاصة بإسكان اللاجئين في أثينا، وهو نفسه مؤلف التقرير الخاص باستخدام العمال العرب، الذي ورد فيه: «أن مواطني فلسطين قد تأثروا كثيراً بالأساليب، التي تسطوا بها مختلف المنظمات اليهودية على الأراضي العربية ثم تقوم ببيعها وتأجيرها». وقد عرض التقرير كل القوانين التي تحكم عمل هذه المنظمات، وأشار إلى أضرارها.

«أصبحت الأراضي الفلسطينية في الوقت الراهن، أراضي خارجة عن إطار السيادة، وذلك جراء شراء الأراضي عن طريق الصندوق القومي اليهودي. فهي من الآن وصاعداً أراض لا يمكن للعربي أن يستفيد منها، ولا يمكنه أن يستأجرها أو يزرعها، وليس ذلك فحسب، فهو كذلك محروم من العمل على هذه الأرض إلى الأبد، بسبب الإجراءات الصارمة، التي يطبقها الصندوق القومي اليهودي للسطو على الأرض».[٢٨]

وفي عدد **فلسطين** بتاريخ ١٨ آذار/مارس ١٩٣١، جاءت كلمة رئيس التحرير بعنوان «خلال الإجازة الإجبارية»: كلمة حول توقيف الصحيفة، لتضع السؤال الآتي: «لماذا تم وقف صحيفة **فلسطين**؟ هذا هو السؤال الذي كان يدور على ألسنة الناس طوال فترة احتجاب الصحيفة عن الظهور، كل إنسان يتلقى الجواب، بداية من الفم إلى الأذن، ثم من خلال الصحافة المحلية، العربية واليهودية، وعن طريق البرقيّات المنشورة في صحف مصر وسورية، ومن خلال هذه المعلومات، فإن بوسع المرء إدراك أن الأنباء التي تم إيقاف صحيفة **فلسطين** بسببها تنتشر بسرعة أكبر، وعلى نطاق أوسع مما لو كانت الحكومة لم توقف الصحيفة وأن المرء ليتساءل عن النتيجة المنطقية، وما إذا كانت الحكومة قد أوقفت الصحيفة لتنشر وتروّج لمثل هذه الأنباء؟ أهي أسباب سياسية؟ وهل تتضمن مثل هذه الإجراءات الحكومية أية حكمة أو بُعد رؤية؟

إن الإجابة مؤكدة، لنترك ذلك ولنعالج الأمر من زاوية مختلفة: إن صحيفة **فلسطين** هي الصحيفة الوحيدة، التي تضرّرت مادّياً بهذا الإيقاف، وهذا هو حال الصحيفة في كل مرة يتم منع صدورها، وهي، بفضل الله، قد تم منعها الكثير من المرات، إلى درجة يصعب معها العدّ! فهل كانت الحكومة، من خلال منعها، تهدف إلى «معاقبتنا مادياً»؟ وبمعنى آخر، هل كانت تهدف إلى إغراقنا مباشرة من خلال هذه الإجراءات الإدارية الجائرة، وهذا حتى قبل أن نلجأ فيها إلى القضاء، لكي نتمكن من الحسم وعلى نحو قاطع بحيث تحترم الحكومة، أو أية جهة أخرى ذلك؟ فعندما أحالتنا الشرطة إلى العدالة، تم اتهامنا ومن ثم تبرئتنا من قبل قاضي العدل الذي اعترف

٢٦ جريدة الصراط المستقيم ع. ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٠. في: الشوملي. مصدر سبق ذكره.

٢٧ فلسطين. ع ٤ شباط/فبراير ١٩٣١.

٢٨ السيد جون هوب سيمبسون. في بريطانيا العظمى. فلسطين - تقرير عن الهجرة. الأرض. المستوطنات والتنمية.

بسلامة طويتنا فيما كنا قد نشرناه، لقد كنا إذن واثقين، فقد كان بإمكاننا أن نفخر لأن القضاء هو الجهة الوحيدة في بلادنا المدمرة، التي يمكن أن تكون عادلة وتقف بجانبنا.

إن من الضروري أن يعلم كل فلسطيني أن الحكومة قد ارتكبت جريمة في حقنا بإيقافها صحيفتنا وتغريمنا خسارة كبيرة، فهذه ليست أول ضربة إدارية نتلقاها، وهذه ليست المرة الأولى التي نقف فيها أمام القضاء ونخرج فيها بالبراءة، أو عدم ثبوت التهمة على الأقل، ولكن الذي نريد أن نقوله للحكومة، إننا على استعداد لتحمل كل هذا الإنهاك وهذا الإرهاق بكثير من الصبر، وأن الجميع سيكتشف فينا، في الحاضر، كما في الماضي والمستقبل، البُعد عن كل نوازع الهزيمة أو التراخي عن حقوق البلاد، وليكن ما يكون».[٢٩]

وفي مقالة ترجمت عن صحيفة ألمانية عريقة، عنوانها «لم تفعل بريطانيا في فلسطين شيئاً سوى أنها سمحت للذهب اليهودي بالدخول إليها): وذلك بتاريخ ٣ كانون الثاني/يناير ١٩٣١، فإن السياسة البريطانية في فلسطين كانت كالتالي:

«إن فلسطين تمثّل مركزاً حيوياً لمصالح بريطانيا، التي تتمثل في قناة السويس، ميناء ومحطة للسكة الحديدية، التي تربط بغداد بحيفا».[٣٠]

فيما يخص عقد المجلس اليهودي العام في القدس بتاريخ ٩ شباط/فبراير ١٩٣١، فإن الصحيفة المؤرخة بـ ١١ شباط/فبراير ١٩٣١، قد كشفت بسخرية أن الحاكم البريطاني للقدس، السيد كيث روث، قد فوّض من بين أعضائه اثنين من اليهود ليقوموا بتمثيله والنيابة عنه في هذا المجلس، وهما السيدان نيوروك وجيكوبز، الامر الذي أدى بالمحرر للتعليق، فقال ساخراً:

«ونحن بدورنا نهنئ السيد نيوروك وجاكوبس على ثقة الحكومة فيهما، ونتمنى أن يكون كلاهما على مستوى المسؤولية»[٣١]

تم عرض أوضاع الفلاح الفلسطيني مرة ثانية في ٦ من أيار/مايو ١٩٣١، في افتتاحية بعنوان :«قضية الفلاح»، احتوت على رسالة إلى عيسى العيسى أرسلها شخص يُدعى عارف سعيد الحسن من جنين، وفيها:

«هل تعلمون أن الحكومة تعمل على دراسة قضية العُشُر للبت في شأنه، إنها قضية هذه الضرائب التي تُعنى بنقل الأرض إلى أيدي الصهاينة، إن من يعرف أحوال الفلاح لا يمكنه أن يسكت على هذه الحال التعيسة، كما لا يمكن لأي إنسان أن يتحملها، فالضرائب قد أثقلت كاهله وأجبرته، بسبب ديونه المتراكمة عل أن يسلم ويرفع يديه، فالحكومة تمارس عليه ضغطاً يدفعه لأن يبيع أرضه غير آسفٍ عليها، فبعد أن كانت هذه الأرض مصدر رزقه تحوّلت إلى عبء يثقل كاهله، إنني مقتنع أن يد العون إذا امتدت إلى هذا الجانب من الوطن، فإنها ستكون أكثر نفعاً في القضية الوطنية، وأفضل من السفر إلى لندن للتفاوض مع هؤلاء الرجال غير النزيهين الذين يدمرون الإنسانية رغم ادّعائهم أنهم يحافظون عليها».[٣٢]

لقد طلب باعث الرسالة من الجريدة أن تجعل من هذه القضية همّها الأول، وفي ردّها على الرسالة، فإن الصحيفة (**فلسطين**)، قد ذكرت كل المقالات المنشورة في هذا الخصوص، مشيرة إلى أن رسائل عديدة وردت بشأن هذا الموضوع، ومن مناطق متعددة في فلسطين، كالخليل وبئر السبع، ختمت ردّها بهذه الكلمات:

«ما الذي يمكننا قوله لرجال الشرطة الإنجليز، لن نقول لهم شيئاً، ولكن، وفي هذه الرسالة المنشورة هناك ما يكفي لكي يفهم أن خضوعهم الأعمى إلى الصهيونية، قد جعل العرب يرونهم كرجال غير نزيهين يدمرون الإنسانية، رغم ادعائهم أنهم يحافظون عليها».[٣٣]

«صحيفة فلسطين» والحركة الصهيونية

كانت المواجهة مع الحركة الصهيونية قطعاً، إحدى الموضوعات الأكثر وروداً في صحيفة **فلسطين**، فلم تترك مناسبة إلا وعرضت مواقف الحركة الصهيونية، وكان ذلك يتم من خلال المتابعة الحثيثة والمتواصلة لجميع الصحف الأجنبية من قبل مراسلين مؤهلين، ففي أعدادها: ١٣ - ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٢٦، نشرت الصحيفة تحليلاً بشأن دور الأحزاب الصهيونية، في مقالة بعنوان «خطاب جابوتينسكي»، بقولها:

«إذا اختلفت طرق الأحزاب الصهيونية، وتنوعت خططها فإن غايتها واحدة وهدفها واحد، وهو إنشاء وطن قومي يهودي في هذا الوطن العربي، وقد صرّح أكثر زعماء الحركة الصهيونية أن إعادة مُلك إسرائيل في فلسطين، يقتضي إعطاء هذا البلد الذي لا شعب له إلى الشعب الذي لا بلد له، وذلك بعد أن خدعوا العالم بدعايتهم الكاذبة، وجعلوه يعتقد أن فلسطين بعد الحرب

٢٩ فلسطين، ١٨ آذار/مارس ١٩٣٠.

٣٠ فلسطين، ٢٢ كانون الثاني/يناير ١٩٣١.

٣١ فلسطين، ١١ شباط/فبراير ١٩٣١.

٣٢ فلسطين ٦ أيار/مايو ١٩٣١.

٣٣ فلسطين - المقال السابق ذكره.

أصبحت خالية على عروشها وخالية من سكانها.

وذهب إسرائيل زنكويل إلى أبعد من ذلك، فقال بوجوب إقفال أبواب المستشفيات اليهودية في وجوه عرب فلسطين، وعدم تقديم الشورباء إلى فقرائهم، حتى لا تطول أعمارهم و يزداد نسلهم، ونصح بمضايقتهم حتى يرحلوا إلى جزيرة العرب، موطنهم الأصلي».[٣٤]

غير أن الضجة التي حدثت نتيجة هذه التصريحات في الأندية العربية وثورتي القدس ويافا اللتين عقبتاها، وصدى هذه الجريدة للتنقيب عن كل ما ينشر في جميع اللغات فيما يتعلق بمرامي الصهيونية وأغراضها، وتنبيه الرأي العام العربي لهذا الخطر، كل ذلك حمل الدكتور وايزمان الزعيم الصهيوني الحالي وأعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية على انتهاج خطة أقرب في ظاهرها إلى الاعتدال، فأخذوا يتكتمون في أعمالهم، ويتحفظون في أقوالهم، ويتظاهرون بمسالمة أهل فلسطين، والميل إلى التعاون معهم والعمل المشترك لمصلحة البلاد.

ولكن جابوتنسكي، أحد أعضاء اللجنة التنفيذية سابقاً، ورجل ثورة القدس لم تُرضِه هذه الخطة فخرج على اللجنة وعلى رئيسها بحجة أنّ مخادعة العرب خداع لليهود أيضاً، لأن اليهودي الذي يستهوي به حبّ رجوع الملك إلى إسرائيل لا يساعد على رجوع ذلك، اذا لم يكن اليهود منفردين فيه، ولا يشاركهم في البلاد أحد.[٣٥]

شكّل جابوتنسكي، الذي أُبعد عن القدس، حزباً سمّاه حزب الصهاينة الإصلاحيين، الذين كانوا يتزايدون ولا يخفون عداءهم للدكتور وايزمان. وقد أعادت صحيفة **فلسطين** نشْر خطاب جابوتنسكي، الذي ألقاه أمام حشد من ستة آلاف شخص في القدس، على النحو الآتي:

«إن هنالك شائعات أعرفها وصلت حتى إلى دار الحكومة في جبل الزيتون، وإلى دوائر وايت هول في لندن، بأنه يوجد ضمن الحركة الصهيونية، حزب ذو آراء متطرفة، حرّض على بعض جيراننا العرب، وعدم الثقة بالحكومة المُنتدبة. فإننا الآن، لا أريد أن أدافع عن ذلك الحزب وتفنيد ما شاع عنه، بل على العكس إن كلامي سيتضمن انتقاداً أكثر من الدفاع، فخير لنا وللحكومة أن تعرف تماماً ما هي الأمآل الصهيونية. و لكي نفهم الصهيونية الإصلاحية جيداً، لا بد من إيضاح أمر واحد، وهو أن الشعب اليهودي لم يقدم على إحياء فلسطين إلا ليكون له وطن، فيما يختلف عما له من تلك الأوطان في بلاد شتاته، وذلك لأن اليهود في كل بلد هم أقلية صغيرة، فإذا حكم عليهم أن يكونوا أقلية في فلسطين أيضاً، فلا تبقى لها ميزة على غيرها من بلاد الشتات، ولا يستحق مثل هذا العناء ولا تحتاج الحكومة المنتدبة إلى إغضاب جيراننا الساميين، لمجرد الرغبة في إنشاء فردوس آخرى فوق السبعة وسبعين فردوساً، التي لليهود في أنحاء العالم. إن غاية اليهود هي قيام وطن قومي في فلسطين، وأن يكونوا أكثرية فيها لا أقلية. فهذا ليس رأي المتطرفين فحسب، لكنه رأي كل صهيوني على الإطلاق، ورأي كل الذين يتظاهرون بإنكار ذلك».[٣٦]

وبعد سنوات خمس، في ٣ كانون الثاني/يناير ١٩٣١، أكدّت افتتاحية بعنوان: «محاكمة بريطانيا العظمى»، على ما يلي:

«يعرف اليهود، مثل ما نعرف نحن تماماً، أن «الصهيونية السياسية» قد ماتت، وأن الدولة اليهودية، التي كانت ترمي إليها هذه الصهيونية لن تقوم لها قائمة، وليس ينقص فلسطين لكي يتمتع أهلها بالراحة والهدوء إلا أن يعترف يهود الدنيا بموت الصهيونية، أي بالأمر الذي وقع ورأى الناس كلهم وقوعه.

وإذا كان وايزمان نفسه قد اعترف بهذا الأمر مرغماً، عندما أعلن أن الهدف، الذي أصبحت ترمي إليه الصهيونية هو الحصول على دولة مشتركة في فلسطين، فإن باقي اليهود لم يقرّوه على رأيه، وهم سيسقطونه دون شك إذا رشّح نفسه للرئاسة في المؤتمر الصهيوني القادم، وهذا واضح لنا منذ الآن».[٣٧]

وقد رأى محرر المقال أن بريطانيا، التي ساندت سياسة وايزمان خلال عشر سنوات، لن تساند سياسة جابوتينسكي ليوم واحد، والعرب الذين خُدعوا بآراء وايزمان وسياسة حزبه، لن يُخدعوا لدقيقة واحدة بالصهاينة الإصلاحيين، الذين أصبحوا يصرّحون علانية بأهدافهم الكريهة، التي يريدون تنفيذها بالعنف والقوة. وقد طالب جابوتينسكي مؤخراً بمحاكمة بريطانيا لفقدانها الشرف، قائلاً: إنكم أصدرتم لنا وعداً، ولكنكم لم تُوفوا به، إذن اسألوا ضمائركم لتجيبكم أنكم لم تعدونا بغيتو صغير في دولة عربية، لكنكم وعدتم أن تحرروا لنا وطناً تحريراً تام، لقد حوّلتم هذا الوعد إلى مهزلة، لذا فإن عليكم أن تقدموا الموظفين المسؤولين عن ذلك إلى محاكمة، ولو أن هؤلاء الموظفين من الإنجليز».[٣٨]

لقد كان رأي رئيس تحرير جريدة **فلسطين**، أنه بعد أن أصبحت قيادة الصهاينة مع حركة الإصلاحيين، سنكون وجهاً لوجه مع أعدائنا الحقيقيين، ولسنا في مواجهة منافقين يشنّون علينا الحرب في السّر، وبأساليب

٣٤ فلسطين. ١٣ -٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٢٦.

٣٥ المصدر السابق.

٣٦ المصدر السابق.

٣٧ فلسطين. ٣ كانون الثاني/يناير ١٩٣١.

٣٨ المصدر السابق.

مقنّعة مدّعين أنهم أصدقاء لنا.[٣٩]

وفي مقالة نشرت في ٢٢ كانون الأول/يناير ١٩٣١، بعنوان «البروباغندا، الصهيونية تنفع العرب!» نوّهت جريدة فلسطين إلى السياسة الإعلامية، التي تشنّها الصهيونية واتسعت حتى وصلت الهند:

لم تكد الهند تبدأ بإظهار عطفها على العرب الفلسطينيين، حتى شرعت **هآرتس**، أحد ألسنة اللجنة التنفيذية الصهيونية، تنصح بعدم اقتصار «البروباغندا» الصهيونية على أمريكا والغرب، وترى لزاماً أن تمتد هذه «البروباغندا» إلى الشرق الأدنى وإلى الهند بالتحديد، وكانت حجتها في ذلك أن الذين يعطفون على العرب الفلسطينيين الآن من الأقوام الشرقية، لن يعودوا إلى هذا العطف، بل هم سيحوّلونه إلى الصهيونية إذا ما فهموا حقيقتها.

وفيما نشرناه أمس الأول أن الدكتور حاييم وايزمان، بعث نداء إلى يهود الهند يطلب إليهم أن يبثّوا «البروباغندا» الصهيونية بين الأقوام التي يعيشون بينها، حتى لا يكون ثمة عطف منهم في المستقبل على غير الأماني الصهيونية. وفيما نشرناه أمس، اشترك من يهود أمريكا كل من الدكتور ستيفن وايز والمستر روبرت زولد، في وضع نداء إلى يهود العالم يطلبان إليهم فيه أن يقوموا بإفهام من حولهم حقيقة الأماني اليهودية العادلة، ويقولان إن الوطن القومي في محنة، وإن على اليهود أن ينقذوه منها «بالإكثار من بثّ الدعوة بين غير اليهود في أنحاء العالم».

ويضيف المقال: «ويعلم الله أن اليهود – و معهم كثير من غير اليهود، بينهم الوزراء والسّاسة وزعماء الاشتراكية الدولية ورؤساء الحكومات وكثير من الصحف غير اليهودية – لم يقصروا أدنى تقصير في الأعوام العشرة الماضية في الإكثار من بثّ الدعوة الصهيونية في أنحاء العالم».

ثم يتساءل المحرر: «ماذا كانت النتيجة؟؟؟»، ويجيب: «كانت أن انجابت الغشاوة عن الصهيونية من الأمل في تضليل العالم. وكان في ذلك أيضاً أن يتنبه ظهير بريطانيا إلى ما يُراد بالشعب العربي، إلى ما في داره من مصائبٍ وويلات، ثم كان بعد ذلك أن خسرت الصهيونية كثيراً من أنصارها، حتى من اليهود أنفسهم، وأن أصبحت اليوم وهي تقاسي ألم النزع المرير.

وهذه نتيجة طبيعية لكل دعوة لا يدعمها غير الباطل وحده، فما كان العالم أبلهاً إلى الدرجة، التي يصدق معها أن «الحق التاريخي»، الذي يرجع إلى ما قبل ألفي عام، ينفع أن يكون حقاً أو جزءاً من حق هذه الأيام».[٤٠]

ووفقاً لتحليل هذه الافتتاحية، فإن الدعاية الصهيونية لا تفعل سوى تعرية الصهيونية وإظهارها على حقيقتها، في الوقت الذي ترغب فيه الكشف عن أغراضها، فتخسر حينئذ من أنصارها بدلاً من كسبهم، وذلك رغم الموضوعات الجديدة التي تبثّها، مثل ادّعائهم حبّ العرب، فتتهكم الصحيفة على ذلك بقولها:

«وإذا كان اليهود قد زادوا شيئاً على هذه النغمات، وهي النغمات الرئيسية في «البروباغندا» الصهيونية، بأنهم يحبون العرب أيضاً، و العالم لم يعرف و لن يعرف «الحب» أبداً على هذه الطريقة اليهودية، وهي الطريقة التي يقوم فيها المحبّ بالقضاء على حبيبه بكل ما يملك من الوسائل، و بأسرع ما يستطيع».[٤١]

كشفت **فلسطين** أكثر من مرة حجم التواطؤ بين مختلف الأحزاب اليهودية، لكي تتأكد من وضع اليد على فلسطين، ففي ١١ شباط/فبراير ١٩٣١، قامت بالتعليق على غياب جابوتينسكي عن جلسة مجلس الطائفة اليهودية، الذي عُقد في ٩ شباط/فبراير بالقدس، حيث قام خلاله أحد أعضاء الحزب الإصلاحي بأخذ الكلمة ليعلن عن غياب أحد أعضاء المجلس لأن الحكومة قامت بمنعه من الدخول دون الأخذ بعين الاعتبار حصانته الدبلوماسية، وقد تبين أن هذا العضو ليس إلا جابوتنسكي نفسه، فهبّ عند ذلك هتاف الأعضاء، مطالبين من المجلس اتخاذ قرار بتقديم شكوى حول هذا المنع، ونجحوا في جعل المجلس يتخذ القرار الآتي: «لقد قرر المجلس تقديم شكوى عامة من قبل يهود فلسطين ضد الخطة، التي تقضي بمنع دخول أي يهودي إلى فلسطين، سواء أكان عضواً في البرلمان أم غيره». وقد اتخذ هذا القرار المجلسُ الجديد، الذي طالب، ليس فقط بدخول المتمرد جابوتنسكي، وإنما أيضاً بدخول أي يهودي يرغب في ذلك.[٤٢]

وفي ١٢ شباط/فبراير١٩٣١، في افتتاحية مكوّنة من ثلاثة عناوين فرعية، فإن برنامج حزب العمال اليهودي، قد تم التعليق عليه ونقده كما يلي:

«هذا الحزب (حزب العمل) هو حزب الأغلبية في المجلس الطائفي «القومي» المنتَخب من قبل جميع اليهود في فلسطين، وقد نشرنا بالأمس البرنامج الذي يدافع عنه في هذا المجلس، وكما يلاحظ قراؤنا قطعاً فإن هذا البرنامج يتّسم بالغرابة، ففي الوقت الذي ينادي فيه هذا الحزب إلى عقد مؤتمر عربي – يهودي، فإنه

٣٩ المصدر السابق.

٤٠ فلسطين، ٢٢ كانون الثاني/يناير ١٩٣١.

٤١ المصدر السابق.

٤٢ فلسطين، ١١ شباط/فبراير ١٩٣١.

يضع شروطاً بحيث تبدو وكأنها إعلان للحرب بدلاً من أن تكون نداءً للتوافق والسلام، إن هذا الحزب يتحدث عن ضرورة إلغاء الكتاب الأبيض، رغم قلّة ما يشتمل عليه من المصلحة للعرب، كما يقترح تغيير نظام الحكومة الحالي بنظام يقضى إلى المساواة بين سكان البلاد في كل شيء مع الطائفة اليهودية الأجنبية، كما يقضي بألا يحكم عرب فلسطين بلادهم بأنفسهم، ولأنه لا ينبغي أن يحكم شعب مصير شعب آخر، فإن هذا يعني عدم أحقية اليهود في السيطرة على كل البلاد. وبعد ذلك فإن «الحزب»، يتحدث وبصراحة تامّة، ويشرح أهدافه، التي ترفض المجلس التشريعي المقترح في الكتاب الأبيض، بينما لا يرفض مجلساً آخر يقضي بأن يكون عدد اليهود فيه مساوياً لعدد العرب. أو بالأحرى، فإن هذا يعني أن على هذا الحزب الغبي أن يبحث عن شعب آخر غير شعب فلسطين ليعقد معه مؤتمراً».[٤٣]

ويمكننا القول اليوم عبر كل المعلومات الواردة في هذه الدراسة، إن كل الأساليب المُستخدمة من حكومة الانتداب، كانت تكشف الانحياز البريطاني لمصلحة الحركة الصهيونية، وكانت واضحة ومعروفة لدى الفلسطينيين، عبر شتّى الوسائل وربما بشكل خاص عبر ما كانت تنشره جريدة **فلسطين**. وبالرغم من الأساليب المتعددة المستخدمة من قبل التيارات الصهيونية للادّعاء بالاختلاف فيما بينها أو بالاعتدال أو بـ «المحبة» للعرب والمطالبة بالمشاركة معهم، فإن المخططات الصهيونية كانت أيضاً مكشوفة على حقيقتها في جريدة **فلسطين**، التي كانت أيضاً تدحضها بمعلومات أخرى ووثائق.

يبدو واضحاً عبر مسار جريدة **فلسطين** في أواخر ١٩٣١ و بداية ١٩٣٢ (الفترة التي عولجت في هذا المقال)، أنه هناك أملاً ما ونوعاً من التفاؤل قد بدآ يتبلوران في أقوال محرري الجريدة فيما يتعلق بإمكانية القضاء ومحاربة «البروباغندا الصهيونية» في ذلك الحين. فهل كان ذلك عبر مزيد من الاجتهاد في ترقية الإعلام الفلسطيني؟؟ حيث كان ذلك واضحاً عبر قيام مؤسسها بإطلاق نسخة باللغة الإنجليزية، لنشر الموقف والقضية الفلسطينية المُحقّة في مواجهة الأكاذيب الصهيونية؛ وكذلك عبر البدء بتطوير الجريدة بنسختها العربية لتنافس الصحف العربية الأخرى، ولكي تصبح صحيفة «الأمة» عبر نشر أعداد أسبوعية مصوّرة، و هذا ما يشهد له العدد المصوّر المميز، الذي نشر في الأول من كانون الثاني/يناير ١٩٣٢، الذي نُشر فيه مقالات لعدد كبير من المفكرين والكتاب المشهورين في العالم العربي فيما يتعلق بالوحدة الثقافية العربية وتطوير الصحافة العربية.

وبناءً على ذلك يمكننا أن نطرح تساؤلاً مهماً سنقوم بمحاولة الإجابة عليه في دراسات أخرى، وهو: لماذا أحبطت محاولات جريدة **فلسطين** النهوض والارتقاء إلى مستوى أرفع في الثلاثينيات؟ وسيبقى هذا ربما مرتبطاً بالتساؤل الأكبر، الذي لا يزال المؤرخون يحاولون الإجابة عنه: لماذا وصلت الأمور في فلسطين بعد ذلك إلى الفوضى والضياع في أواخر الثلاثينات، الأمر الذي تسببت فيه بإنجاح مخططات الحركة الصهيونية آنذاك، وحتى هذا اليوم؟ هل هو فقط قوة الحركة الصهيونية، ودعم الاستعمار البريطاني لها في ذلك الحين، ودعم الولايات المتحدة لها حتى هذا ليوم؟ وذلك بالرغم من الإدراك والمعرفة الفلسطينية بحقيقة هذه الأهداف؟ أم هل هناك شيئاً آخر وعوامل أخرى تعمل على إضعاف المواجهة الفلسطينية لتلك المخططات، عبر تفتيت الجهود والدخول في صراعات داخلية، تتسببها في كثير من الأحيان منافسات غير مشروعة بين أطراف داخلية، وتستفيد منها الحركة الصهيونية؟ أكان ذلك في نهاية الثلاثينيات، حين عمّت الفوضى البلاد، أم بعد ذلك بكثير، حيث استمرت عمليات الشرذمة والتفتيت بأشكال متنوعة؟ أين الاخفاق؟ ومن أين ستأتي عناصر القوة؟ تساؤل أساسي يجب القيام بمحاولات جادة ودائمة للإجابة عنه، عبر مراجعة التاريخ، وحوار جماعي يرتقي إلى مستوى أهمية القضية نفسها، لأنه كما أشار إليه عدد من المؤرخين، وكما لخّصه المفكر الفلسطيني الراحل، إدوار سعيد: «إن إحدى الإستراتيجيات الأكثر رواجاً تكمن في محاولة تفسير الحاضر عبر الإشارة إلى الماضي ليس فقط لأننا قد نكون على اختلاف مع الماضي، مع ما حدث ولكننا لأننا نتساءل إن كان الماضي قد مضى ومات ودفن، أو لأنه مستمراً ربما بشكل آخر: هذه من خصوصيات الحوارات المتعددة- بشان الأسباب والأحكام والاتهامات، وبشأن الحاضر والمستقبل».[٤٤]

٤٣ فلسطين، ١٢ شباط/فبراير ١٩٣١.

٤٤ Edward Said, *Culture and Imperialism*, First Vintage Books Edition, 1994.